جمهورية

أفلاطون

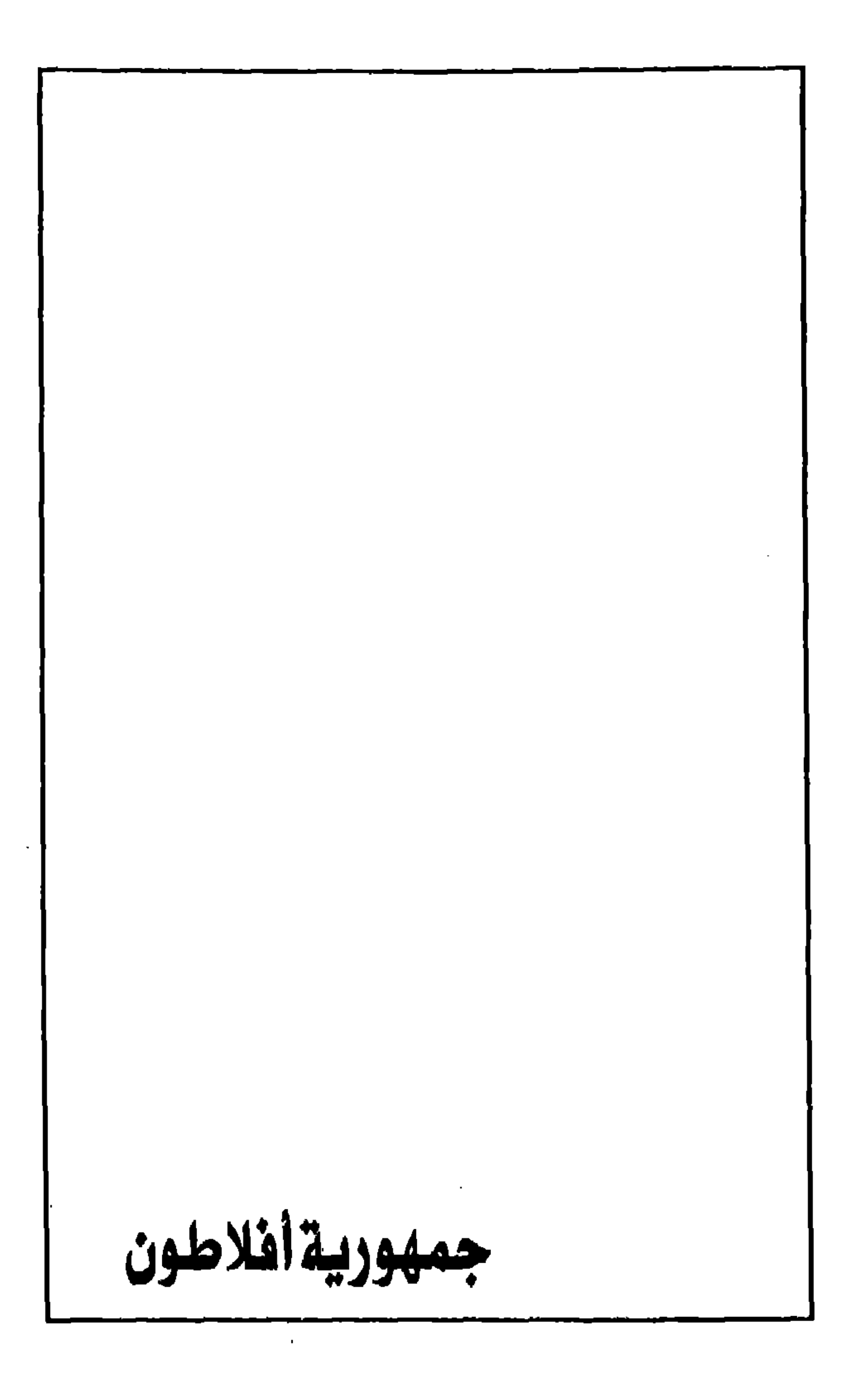




الهيئة
المصرية
العامة
للكتاب

د. أميرة حلمي مطر

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤



جمهورية أفلاطون

جمهورية أفلاطون

د. أميرة حلمى مطر



مهرجان القراءة للجميع ٩٤

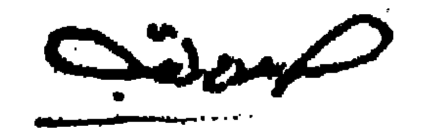
مكتبة الأسرة

(تراث الإنسانية)

الجهات المشتركة :
جمعية الرعاية المتكاملة
وزارة الثقافة (هيئة الكتاب)
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الحكم المحلى
المجلس الأعلى للشباب والرياضة

الانجاز الطباعي والفني
محمود الهندى
مراد نسيم
احمد صليحة

المشرف العام
د . سمير سرحان



جمهورية أفلاطون

الدكتورة: أميرة حلمى مطر
مدرسة علم الفلسفة بكلية الآداب - جامعة القاهرة

حياة افلاطون ومؤلفاته

ليست فلسفة أفلاطون إلا صدى للأزمات العنيفة التى توالت على حياة مدينته الخالدة أثينا، بل هى ثمرة فترة عصيبة من تاريخها. فترة حرب المورة (البيلوبونيز [١]) التى مزقت أوصال بلاده منذ نهاية القرن الخامس قبل الميلاد.

ولقد ظهرت فلسفته وسادت فى كل تلك العصور التى تشابهت ظروفها وظروف عصره. عصر لا يرى الحكيم فيه سوى الظلام الدامس والاضطرابات

(١) حرب قامت بين أثينا وأسبرطة طوال القرن الرابع قبل الميلاد وامتد سعيرها إلى باقى مدن شبه جزيرة المورة

والقلاقل فلا يجد من ملجأ يحتمى به سوى ذاته يفر اليها باحثاً عن آماله وأحلامه التى لم يعد لها في عصره بشير.

كذلك كان الواقع حول أفلاطون، وبهذه الغربة أحس الفيلسوف حتى أصبح من المستحيل عنده أن تحل مشكلة الحقيقة الفلسفية بغير أن تحل مشكلة العدالة السياسية.

ولقد ذكر أفلاطون الكثير عن نفسه وعن اسرته فيما خلفه من محاورات تفيض حيوية ونضارة وجدة.

ولد عام ٤٢٨ ق.م لأسرة تميزت بالنسب العريق، ونشأ نشأة شباب أثينا الأرستقراطى فتعلم على السفسطائيين وسقراط كما تعلم عليهم أيضاً إخوته وأقاربه ومشاهير السياسة فى عصره ومنهم كرتياس وخارميدس والقبيادس

يذكر أفلاطون ظروف حياته وعصره فيقول(١) : «عندما كنت يافعاً أحسست بما يحسه أغلب الشباب، إذ كنت أتوق إلى ذلك اليوم الذى أستطيع فيه التصرف في مصيرى والاشتراك فى العمل السياسى وهاك

(١) افلاطون؛ الرسالة السابعة ٣٢٤ ـ ٣٢٦.

الحال التى وجدت عليها أمور الدولة.

لقد سقطت الحكومة وقامت ثورة تسلم الحكم على إثرها واحد وخمسون رئيسا، أحد عشر فى المدينة وعشرة في ميناء البيرايوس، أما السلطة العليا المطلقة فقد كانت فى يد ثلاثين. وكان بينهم كثيرون من أقاربى ومعارفى (كان كرتياس ابن عم والدته وخارميدس خاله من بين هؤلاء) ولقد دعونى لاختيار ما يناسبنى من المناصب، وكنت أعول عليهم الكثير من الآمال، ولكنهم للأسف خيبوا آمالى، إذ لم يكونوا خيراً ممن سبقوهم، ومن فظائعهم أنهم أرادوا دفع سقراط الذى أعده أفضل رجال عصره إلى القبض على أحد المواطنين (١) وإعدامه، ولكنه رفض الاشتراك فى جرائمهم.

لذلك انصرفت عن حكمهم الذى سرعان ما أودت الأيام به وحدثت تقلبات سياسية أخرى (٢). لكننى وجدت الحكام يقدمون سقراط صديقنا للمحاكمة ويتهمونه بأسوأ التهم فيدينون ويعدمون (٣) ذلك الرجل الذى رفض القبض على أحد أصدقائهم. ووجدت

(١) هوليو من سلامين. انظر محاورة الدفاع ٣٢هـ.

(٢) ثار الشعب على حكم هؤلاء الطغاة الثلاثين واستطاع أن يعيد حكم الديمقراطية بعد أن استدعى تراسيبول وتراسيل من المنفى.

(٣) أعدم سقراط عام ٣٩٩ ق. م.

مدينتنا لم تعد تحكم تبعاً لتقاليدها القديمة حتى فسدت القوانين والأخلاق إلى أبعد حد، وبقيت أنتظر فرصة تسنح لي كي أتدخل في توجيه الأمور ولكني انتهيت إلى أن جميع الدول الحالية قد ساء حكمها، فلجأت إلى الفلسفة أستضئ بنورها حتى أتبين ما هي العدالة سواء في المجتمع أو في حياة الفرد. وانتهيت إلى أن المصائب لن تنتهي من حياة البشر ما لم يتول الفلاسفة الحقيقيون الحكم أو يتحول الحكام بفضل الله إلى فلاسفة حقيقيين [1] » .

وخاب رجاء أفلاطون في كل ما هو واقع حوله وعارض الديمقراطية التي أعدمت أستاذه سقراط كما كره حكم أوليجار شيه الطغاة الثلاثين. وانتهى الى أن لا سبيل إلى الاصلاح إلا بالاعتماد على الفلسفة، ولكنه رغم ذلك لم يركن إلى التفكير النظرى على نحو ما هو شائع عنه وإنما خاض غمار الحياة وجاب أنحاء عالمه المعروف باحثاً مغامراً من أجل تحقيق أفكاره الفلسفية وآرائه السياسية.

---

(١) أنظر هذا الرأي في محاورة الجمهورية ٤٧٣.

وعرف عنه أنه لجأ إلى ميجارا بعد موت سقراط عند إقليدس أكبر تلاميذ سقراط سناً في ذلك الوقت، ثم بدأ سلسلة رحلاته الكثيرة ومنها رحلته إلى مصر التي يذكر الكثير عن فنونها وآثارها [1]. غير أن أهم رحلاته هي رحلاته المتعددة إلى إيطاليا وصقلية، فقد اتصل ببلاط حاكم مدينة سيراقوصة بصقلية ديونيسوس الأول وتعرف هناك بديون صهر ديونيسوس وقامت بينهما صداقة قوية انتهت إلى الاشتراك في تدبير المؤامرات السياسية لتغيير الحكم في تلك المدينة وانتهى الأمر بسوء العلاقة بين أفلاطون وديونيسوس إلى حد أن سلم ديونيسوس أفلاطون أسيراً لسفير اسبرطه عدوة مدينته أثينا فعرضه للبيع وافتداه أحد أصدقاءه يدعى انكيرس.

واستطاع أفلاطون أخيراً أن يعود إلى أثينا وهناك أسس مدرسة في بستان لبطل يسمى أكاديموس وسميت مدرسته تبعاً لذلك باسم الأكاديمية.

ولم يكن تأسيس الأكاديمية حدثاً هاماً في حياة أفلاطون فحسب بل في حياة الفكر الغربي بأسره إذ

---

(١) أفلاطون القوانين ٦٥٦ ـ ٧٤٧ ـ ٨١٩.

ظلت قائمة ما يقرب من عشرة قرون وإلى اليوم الذى أمر الامبراطور جستنيان بإقفال المدارس الوثنية فى العالم الرومانى المسيحى عام ٥٢٩.

وكان أفلاطون يبغى من تعليمه فى الأكاديمية هدفاً سياسياً هو تكوين فئة من الفلاسفة المستعدين لنشر نظريات اجتماعية وسياسية فى انحاء بلاد اليونان.

يذكر بلوتارخ أن أفلاطون لم يترك لنا مجرد مذهب نظرى فى السياسة بل تعدى ذلك حين أخرج سياسيين ومشرعين أمثال ديون فى صقلية وبتون وهيراقليد فى تراقيا وأودوكس وأرسطو اللذين شرعا قوانين لكنيدوس واسطاغيرا.

وكان لأفلاطون محاضرات يلقيها فى الأكاديمية ومؤلفات أخرى كتبها للجمهور وكذلك فعل أرسطو. غير أن ما بقى لدينا عنهما كان مختلفاً للغاية. فما بقى من أفلاطون هو محاوراته التى كان ينشرها للجمهور.

أما محاضراته التعليمية فقد فقدت. أما بالنسبة لأرسطو فما بقى من مؤلفاته هو محاضراته التعليمية أما ما كان ينشر للجمهور فلم يبق منه سوى شذرات،

لذلك فقد كنا نجد تقارباً كبيراً بين أفلاطون وأرسطو لو اختلف الأمر ووجدنا لأحدهما ما يناظر مؤلفات الآخر الموجودة لدينا.

ولقد عنى الباحثون بمحاورات أفلاطون وصنفوها تصنيفات مختلفة. غير أن أهم هذه التصنيفات ما أعتمد على تطور لغة أفلاطون على مدى حياته الطويلة فرتبت إلى ثلاثة مجاميع، مجموعة محاورات الشباب ويدور أكثرها حول حياة سقراط وآرائه ومجموعة النضج ومجموعة الشيخوخة وفيهما تطورت نظرياته عما كانت عليه فى عهد الصبا.

أما محاورة الجمهورية فتعد أهم ما كتب أفلاطون لما تضمنته من نظريات مختلفة ارتبطت لتكون نظرة عامة لحياة الإنسان والمجتمع، وكان لها فى تاريخ الفلسفة فيما بعد تأثير لم ير مثله كتاب من كتب الفلسفة.

ولئن شاركتها محاورة تيماوس الأثر الفعال خاصة طوال العصور الوسطى حيث كانت عماد معرفتها بالعالم الطبيعى إلا أن تأثير الجمهورية لم يكن مفقوداً تماماً إذ تسربت نظرياتها إلى كتاب العالم الرومانى وفلاسفة العالم الإسلامى والمسيحى فى

العصر الوسيط، تأثر بها من القدماء شيشرون فى آرائه عن حكم الطغيان والديمقراطية وتأثر فى مؤلفه «حلم سكيبيو Somnium Scipionis».

بماجاء فى أسطورة إرين أرمنيوس من تصوير للعالم الآخر.

وفى العالم الإسلامى عرف الفارابى جمهورية أفلاطون وتأثر بها فى مدينته الفاضلة، كما تأثر بها القديس أوغسطين فى مدينة اللّه.

وكان نظام التعليم فى العصور الوسطى قريباًجداً من مناهج الدراسة في الجمهورية. إذ قسمت العلوم فى العصور الوسطى إلى مجموعة رباعية quadrivium تتكون من الحساب والهندسة والفلك والموسيقى، أما الجدل الذى جعله أفلاطون الهدف الرئيسى من الفلسفة فقد اختلف وضعه فى دائرة معارف العصور الوسطى إذ وضع مع الخطابة والنحو ضمن المجموعة الثلاثية Triviun.

ومع عصر النهضة بعثت جمهورية أفلاطون وكتب توماس مور يوتوبيا دعا فيها إلى بعض ما جاء فى الجمهورية من شيوعية فى الأموال عممها على جميع

الطبقات وفى العصر الحديث أثرت فلسفة أفلاطون السياسية بما دعت اليه من ضرورة التخطيط العلمى للمجتمع وما ينبغى على الدولة أن تقوم به من مهام تربوية واجتماعية وبهذه المبادئ الحديثة التى دعا إليها أفلاطون يمكن أن نرى أفلاطون حياً على مئات السنين التى انقضت على كتابته الجمهورية.

موضوع محاورة الجمهورية

غاية بحث أفلاطون فى هذه المحاورة هو تحديد صورة الدولة المثالية التى تتحقق فيها العدالة.

ولما كانت العدالة فضيلة النفس الفردية كما هى نظام يتعلق بالدولة فقد اقتضى بحثه تفسير طبيعة الإنسان وتكوين الدولة على حد سواء حتى يمكن تحديد الظروف الواجب توافرها كى تتحقق العدالة فى كل منهما.

ويجد قارئ الجمهورية أن البحث فى العدالة وشروط تحققها فى المجتمع المثالى يستغرق سبعة أبواب من الأبواب العشرة التى يتكون منها الكتاب.

ثم يعرض أفلاطون لتفسير مصادر الفساد الذى يصيب الدولة والفرد بينه وبين دولته المثالية وأخلاق

مواطنها المثالى وبين الدولة الفاسدة التى تفسد فيها أخلاق المواطنين ويضع أفلاطون قانون تدهور التاريخ من الدولة الصالحة إلى الصورة الفاسدة، ويستغرق بحث هذا الموضوع البابين الثامن والتاسع من الكتاب.

وفى الباب العاشر والأخير من الكتاب يختتم أفلاطون حديثه عن العدالة بتأكيد قيمتها وما يترتب على وجودها من خير للمجتمع وللفرد ويقدم نقده للفن ويبين الأسباب التى من أجلها حكم على شعراء التراجيديا وهوميروس بالطرد من مدينته الفاضلة ويصف ما ينتظر النفوس من حساب عادل فى العالم الاخر.

هذا تخطيط تقريبى لا رتباط الموضوعات التى وردت فى محاورة الجمهورية ويمكن تلخيصها فيما يلى:

أولا: تعريف العدالة وشروط تحققها فى الدولة وفى الفرد ويستغرق تقريباً من الباب الأول إلى الباب السابع.

ثانياً: مصادر الفساد فى الدولة وفى الفرد ويستغرق البابين الثامن والتاسع.

ثالثـــا: آراؤه فى الفن وفى النفس الإنســانيــة ويستغرق الباب العاشر.

أولا: العدالة وشروط تحققها فى الدولة والفرد

(أ) الآراء المختلفة فى العدالة:

يعد البـاب الأول من الجـمـهـورية بمثـابة مـقـدمـة للمـحـاورة، وحين يسـتطرد الحـديث إلى السـؤال عن العـدالة تتضـح لنا ثلاثة آراء مـختلفـة تعبر عن مـواقف ثلاثة مـتبـاينة من مـشكلة العـدالـة هـى رأى كـيـفـالوس الشـيخ وابنه بوليـمـارخـوس ويمـثل الرأى السـائد عند عامة الناس، ثم رأى تراسيماخوس السفسطائى ويمثل المذاهب الجـديدة فى الأخـلاق والسـياسـيـة وهو الرأى الذى يعـارضـه سقراط الذى يمثل رأى أفـلاطون ومـوقفـه المثالى الأرستقراطى فى العدالة.

يدور الحـديث فى مـحـاورة الجـمـهـورية بأسلوب رواية يرويها سقراط لمستمعين غيـر معروفين عما جرى فى اليوم السـابق عند بوليمـارخـوس بن كيفـالوس حيث التقى هناك بـعـدد من الشـخـصـيات بعضـهـا معـروف وبعضـهـا غيـر مـعروف مـثل كـيفـالوس الشـيخ الثـرى وأبنائه ومنهم بوليـمـارخـوس الذى سـيروى حـديثه فى

المحاورة، ومن الحضور أيضاً السفسطائى تراسيما خوس وأخوا أفلاطون أديمانتوس وجلوكون ابنى أريستون.

وحين يتطرق الحديث عن العدالة يتقدم بوليمارخوس ابن كيفالوس بتعريف استمده من الشاعر سيمونيدس فيقول إن العدالة تقضى بأن يرد الإنسان كل ماله.

ويوضح هذا التعريف فيقول إن العدالة هى معاملة كل حسب ما يستحق، أو معاملة الأصدقاء بالخير إن كانوا أخياراً والأعداء وهم الأشرار بالشر.

ورغم التعديلات التى يضيفها بوليمارخوس تحت ضغط مناقشة سقراط يرفض الجميع هذا التعريف، لأنه ينطوى على تناقض، إذ كيف يضر العادل أعداءه وبمعنى آخر كيف يقترف العادل ظلماً بعدالته ؟

وسرعان ما يتدخل فى الحديث تراسيماخوس الذى يمثل الآراء الجديدة المتطرفة فى السياسة، فيعترض معلناً ضيقه من جدل سقراط وتلاعبه بالألفاظ ويقدم تعريفاً ثانياً للعدالة، وهو تعريف ينطوى على مبدأ سياسى أخذت به دولته الأثينية التى توسعت فى

سياسة الاستعمار وفرضت الحق بالقوة على جميع مستعمراتها، يقول: إن العدالة ليست سوى العمل بمقتضى مصلحة الأقوى (١) ويفسر تراسيماخوس معنى الأقوى بقوله إن الحاكم يفرض على المحكوم مصلحته والعدالة هى ما تفرضه إرادة لحاكم أو الأقوى، لكن مثل هذا التعريف إنما يفيد أن العدالة متغيرة بتغير نظم الحكم وأنها نسبية بالنسبة لظروف الحكام فى الدول المختلفة، ومثل هذا التفسير إنما يقترب كل الاقتراب من فلسفة السفسطائيين معارضى سقراط وأفلاطون وعلى رأسهم بروتاجوراس القائل إن الإنسان هو مقياس كل شئ.

وفى مقابل هذه المذاهب النسبية الواقعية فى الأخلاق يأتى سقراط وتلميذه أفلاطون بفلسفة مثالية تؤكد أن للقيم الأخلاقية وجوداً ثابتاً لا يتغير من زمان لزمان أو مكان لمكان كما أنها مطلقة لا تحتمل أى تغير أو تبديل.

ولكى يفند سقراط رأى تراسيماخوس يلجأ إلى تشبيه الحكم بأنه فن من الفنون المفيدة للإنسان غايته

(١) الجمهورية ٣٣٨.

تحقيق فائدة للغير لا لأصحابه، وفى مقابل خدمتهم للغير يعوضون بالأجر لهذا كان الحاكم هو من يعمل لا لمصلحته بل لمصلحة رعيته. ثم يستطرد سقراط إلى وصف العدالة فى النفس الإنسانية فيقول إن لكل شئ وظيفة خاصة به فكما أن للعين وظيفة لا تشاركها فيها الأذن وفضيلتها فى أدائها لهذه الوظيفة، كذلك يكون للنفس وظيفة هى الحياة وفضيلتها فى حسن توجهها للحياة لتبلغ السعادة، وما العدالة إلا فضيلتها التى هى وسيلتها إلى الحياة السعيدة.

ويبدأ الباب الثانى بتدخل شخصية أخرى تؤيد مذهب تراسيماخوس هى شخصية جلوكون الذى يسترسل فى بيان ما يعتقده عامة الناس عن العدالة فيقول إن الناس لا ترغب فى العدالة لذاتها ولا يلتزمون بها إلا مجبرين حتى لا يصيبهم أذى من غيرهم إن عرفوا بالظلم فيذهب مذهب من قال:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد

ذا عفة فلعلة لا يظلم

ويستشهد جلوكون على رأيه هذا بأسطورية خاتم جيجس التى تتلخص فى أن راعيا يسمى جيجس كان

يرعى مواشى للملك ففاجأة زلزال عنيف انشــقت الأرض على إثره فى غور منها ليجد حصـاناً حديدياً بجوفه جثة رجل يفـوق فى الحـجم جسم الإنسـان، وكـانت الجـثـة عارية وليس بها سوى خاتم فى أصبعها فـأخذه جيجس وخرج من باطن الغور إلى ظهر الأرض وعاد إلى رفاقه من الرعــاة وبينمــا هو جــالس بينهم أدار الخــاتم فى أصبـعه فـاخـتـفى من بينهم ولما أداره مرة أخـرى عـدا للظهور وكرر هذه العملية مرات يختفى فـيـها ثم يعود للظهور، ولما كان على الرعاة أن يقدموا للملك تقرير عن مـاشيـتهم تطوع جيـجس بأن يحـمل الرسـالة إلى الملك فلما دخل القصر قتل الملك وراود الملكة ثم استولى على الملك.

ولنفــرض إذن أن هناك اثنين من الناس أحــدهـم عادل والآخر ظالم وأننا وهبناهما خـاتمين من هذا النوع ألا نجد العادل فيها يستوى مع الظالـم ما دام سـيخفى عن الناس ظلمــه ومــا دام الظلم وسـيلتــه إلى المنفـعـة والعدل مضيعة لمصالحه؟

وهنا يتحفز سقراط للرد علي هذا الرأى لكى يثبت لهم العكس وهو أن للعدالة فى ذاتها قيمتها وأنها الخير

الوحيد للنفس الإنسانية وبها وحدها يدرك الإنسان السعادة.

ويحثه جلوكون وباقى الحاضرين على إقناعهم بأن العدل خير من الظلم وأليق بالإنسان. وتخطر لسقراط فكرة قمينة بأن تهديه إلى سبيله فى شرح رأيه فى العدالة فيقول لنفرض أن قوماً من ضعاف البصر أرادوا أن يقرأوا لوحة مكتوبة بالأحرف الصغيرة وأن أحدهم وجد المكتوب فيها مكبراً ثم يعودون إلى مقارنتها في النقش الصغير؟ إننى سأتبع نفس الطريقة فى بحثى عن العدالة.

أليست العدالة موجودة فى الدولة كما هى موجودة فى الفرد؟ أليست الدولة أكبر من الفرد؟ وما دام الأمر كذلك فسيكون من السهل علينا أن نتبين سماتها وطبيعتها عندما ننظر إليها فى الدولة وبعد ذلك نقارنها بالعدالة فى الفرد لنجد التشابه بين الصورة المكبرة والصورة المصغرة.

(ب) العدالة فى الدولة:

لنبحث أولا كيف تنشأ الدولة لنرى بأى الطرق يمكن للعدالة أن تتحقق فيها ولقد سبق أن ذكر

أفلاطون كيف نشأ المجتمع الإنساني وتطور وأظهر فى محاورتى السياسى والقوانين حنينه إلى العصر الذهبى الذى كان يعيش فيه الإنسان فى بساطة لا تعرف التعقيد ويعول على الطبيعة فى كل شئ. وفي محاورة بروتاجوراس يذكر على لسان السفسطائى بروتاجوراس أسطورة يفسر بها كيف تطور الإنسان من الحياة البدائية إلى الحياة المدنية فيروى أن الآلهة بعد أن وزعت المواهب على أنواع الحيوان المختلفة لم تبق للإنسان شيئاً من المواهب والقوى الطبيعية، ولكن الإله بروميثيوس حامى الإنسان وراعيه سرق له النار والفنون العملية وعلمه استخدامها ليدافع عن نفسه ويستطيع البقاء. لكن المعرفة العملية لم تكفه فى حفظ حياته وكان لا بد لكى تنتظم حياته الاجتماعية من معرفة أخرى لذلك وهبته الآلهة معرفة العدالة والعفة لتنتظم حياته الاجتماعية وترتقى علاقاته ومدنيته.

وإلى مثل هذا التفسير يشير أفلاطون في محاورة الجمهورية فيقول إن الفرد وحده ضعيف ومن ثم يكون الاجتماع ضرورة تحتمها الحياة الإنسانية.

وينشأ عن اجتماع الأفراد الحاجة إلى تقسيم

العمل فيما بينهم من أجل توفير كافة حاجاتهم الضرورية، وتكون حياتهم فى بادئ الأمر بسيطة طبيعية لأنها تتجنب المشاكل التى تنجم عن ازدياد عدد السكان والتى تؤدى إلى قيام المنازعات والحرب.

وحاجات الإنسان لا تقتصر على متطلبات الحياة المادية وإنما ينبغى لأهل المجتمع أن يتذوقوا الفنون والآداب بارتقائهم فى أساليب الحياة يطلبون الترف وتزيد حاجاتهم إلى الكماليات فتشتبك المصالح وتنشأ الحروب، ومن هنا ينبغى تكوين طبقة من المحاربين المحترفين يتولون حراسة المدينة والدفاع عنها عند الاعتداء عليها كما تحتاج المدينة إلى طبقة من الحكام يوجهون الرعية إلى العمل ويرشدون المدينة إلى طريق الخير ويحققون لها العدالة.

فما هى شروط هذه الطبقة التى ستتولى حماية المدينة وقيادتها؟ يقول اختيار أفراد هذه الطبقة منذ الصغر، فيختبرون اختبارات متعددة لنتبين من كان منهم ذا نفس عالية ولياقة بدنية بل يرى تخويفهم بوسائل مختلفة ليرى أيهم أثبت جناناً وأشد مراساً، يقول لنختبرهم كما يختبر الذهب بالنار، وبعد أن يتلقوا

تربية وتعليما طويلا يختار أصلحهم ليكون حاكماً أما من يلونه فيكونون مساعدين له أو حرساً وجنوداً.

ولكى نتبين صفات هؤلاء الحراس يكفى أن ننظر إلى كلاب الصيد والحراسة الأصيلة النوع فنجدهم أوفياء أرقاء لأصدقائهم وأصحابهم وأقوياء أشداء على أعدائهم وكذلك يكون حراس المدينة فيما بينهم ولأعدائهم.

ولكنهم سيجمعون إلى هذه الصفات الأخلاقية، الروح الفلسفية التواقة للعلم والمعرفة. ولذلك يضع أفلاطون نظاماً معيناً فى التربية والتعليم.

يقول إنه ينبغى مراقبة كل ما يصل إلى أسماع هؤلاء الحكام فى طفولتهم من قصص أو فنون تؤدى إلى انحراف ذوقهم وأخلاقهم، وإنما تنمى فيهم قدرة تذوق الجمال حتى يتوفر لنفوسهم التناسب والاتزان بواسطة الموسيقى والفنون الجميلة التى ترهف أذواقهم كما تقوى الرياضة البدنية أجسامهم.

وإن كنا نربى حكامنا من الصغر على الصدق وباقى الأخلاق الكريمة إلا أننا سنبيح كذبة نلقنها لجميع المواطنين إذ نروى لهم أنهم جميعاً إخوة لأن

الأرض هى أمهم جميعاً، لكن الإله الذى خلقهم قد مزج فى طبيعة بعضهم ذهباً ليكونوا حكاماً وأدخل فى طبيعة بعضهم فضة ليكونوا حراساً وجنداً وخلط الباقين بالحديد والنحاس ليكونوا فلاحين وصناعاً منتجين حاجات الإنسان المادية.

كذلك يؤكد أفلاطون انقسام المجتمع إلى ثلاث طبقات متمايزة بحكم الطبيعة ويرى أن لكل طبقة من هذه الطبقات الثلاث وظيفة هيأتها الطبيعة لها وخصتها بها بحيث لا ينبغى لها أن تدخل في عمل الطبقة الأخرى.

ويترتب على ذلك أن تختص الطبقة الممتازة فى المجتمع ابالحكم ولا يشاركها فيه أحد من الطبقات الأخرى وخاصة الطبقة المنتجة لأنها لا تملك الحكمة ولا التربية ولا التعليم الذى يهيؤها للاشتراك فيه! لذلك نراه يخص كل طبقة من هذه الطبقات الثلاث بفضيلة تناسب طبيعتها ففى حين يختص الحكام بفضيلة الحكمة ويختص الحراس بفضيلة الشجاعة يقول إن فضيلة الطبقة المنتجة من الشعب هى فى التزامها العفة أو الاعتدال تعنى بتنظيم ملذاتها وانفعالها بحيث تتحكم دائماً فى شهوتها.

هذه الفضائل الثلاث هي الشروط الواجب توفرها في طبقات الشعب لكي تتوفر العدالة في الدولة. وتعريف العدالة بناء علي ذلك يتلخص في تأدية كل فرد في الدولة للوظيفة التي هيأته لها الطبيعة والتزامه بالفضيلة المناسبة لطبقته وعلى العكس يكون الظلم والشر حين يتعدى أحد الأفراد أو الطبقات على عمل غيره بعبارة أخرى تضيع العدالة في رأي أفلاطون لو شارك الاسكافي أو النجار في عمل الفيلسوف الحكيم الذي له وحده حق توجيه الحكم وبهذا يصدم أفلاطون أول مبادئ حكم الديمقراطية في عصره وفي كل عصر.

(ج) نص كلام أفلاطون عن العدالة في الجمهورية: «سقراط : لنتعلم إذن منذ البداية وعندما شرعنا في تأسيس مدينتنا أخذنا على عاتقنا واجباً هو أن نبين ما هي العدالة. ولقد ذكرنا مراراً إن كنت تذكر أنه لا ينبغي لأحد أن يمارس إلا عملا واحداً في المجتمع وهو العمل الذي هيأته له الطبيعة.

ـ أجل قلنا ذلك.

سقراط : وقلنا إن العدالة تتلخص في انصراف كل إلى عمله وبدون أن يتدخل في أعمال الغير.. أي أن

العدالة هى فى اهتمام كل بما يخصه. أتعلم الأساس الذى تستند إليه هذه الفكرة؟

ـ لتعلمنى إياها.

سقراط: يهيأ لى أن ما تحتاجه المدينة بعد الفضائل الثلاث التى ذكرناها الاعتدال والشجاعة والحكمة ليس إلا الدعامة التى نشأت عنها هذه الفضائل وبفضلها تستمر فى الوجود وهذه الفضيلة هى العدالة.

ـ أجل بلا شك.

سقراط : فإن كنا نبحث عن أى الفضائل يؤدى إلى كمال مدينتنا أفلا يصعب علينا تحديدها حين نقول إنها فى انقياد المحكوم للحاكم أم أنها فى مبادرة الجند فى عمل ما يجب عمله أم فى حكمة الرؤساء أم فى انصراف كل من فى المدينة سواء كانوا اطفالا أو نساءاً أو عبيداً أو أحراراً، حكاماً أو محكومين إلى أعمالهم الخاصة دون تدخلهم فى أعمال غيرهم؟

ـ أجل من الصعب تحديد ذلك.

سقراط : فالقوة التى تلزم بها الدولة أفرادها كلا

على أداء عمله ستكون على نفس القدر من الأهمية مع فضائل الحكمة والشجاعة والاعتدال.

ـ بالتأكيد.

ـ أليست هذه القوة التى تساعد مع باقى الفضائل الأخرى على كمال الدولة هى العدالة؟

ـ أعتقد ذلك.

سقراط : ولتبحث المسألة من جهة أخرى لترى إن كنت متفقاً معى. أليس الرؤساء هم الذين يتولون الحكم فى القضايا؟

ـ نعم بلا شك.

سقراط : وفى أحكامهم هذه بأى شئ يلتزمون إن لم يكن فى منع الأفراد من الاعتداء على الغير أو سلب أملاك الغير.

ـ نعم تلك غايتهم.

سقراط : لأن ذلك هو العدل.

ـ نعم.

سقراط : وهذا أمر آخر يدعو إلى الموافقة على أن

اهتمام كل بما يخصه هو العدالة بعينها.

ـ هذا صحيح.

سقراط : ولتبحث معى إن كان يمكن للنجار أن يعمل عمل الإسكافى أو الإسكافى عمل النجار أو أن يتبادلا أدوات العمل والمكافأة وإن كان يجوز لأحد أن يعمل العملين أو أن يتبادل الناس أعمالهم ألا يظهر لك أن المدينة ستعانى خسارة كبرى؟

خسارة ليست بالكبيرة.

سقراط : لكن إن تصادف لأحد الصناع وساعده الحظ فوهبته الطبيعة مالا ووفرة فى الأنصار والأتباع فظن أنه بكل هذه الميزات مستطيع أن يدخل ضمن طبقة المحاربين أو بالمثل لو بدا لأحد المحاربين أن يمارس حق الحكام بغير مقدرة أو تراءى لأحد أن يمارس كل هذه الأعمال دفعة واحدة ألا ترى معى أن فى هذا يكون دمار المدينة؟

ـ نعم بالتأكيد.

سقراط: إذن فالتعدى على أعمال الغير واختلاط طبقات المجتمع الثلاث، ليس فى الواقع إلا الفوضى بعينها والدمار بل هو جريمة لا شك فيها».

تلك هى خـلاصـــة رأى أفــلاطون فى العــدالة الاجـتمـاعـيـة سـاقـه على لسـان سـقـراط فى مـحـاورة الجمـهورية. ومـا من شك فى أن أفلاطون بهذه النظرية قد أوضح اتجاهاً مثالياً أكد انصرافه عن واقع مجتمعه الذى أعلن مبـادئ ثورية فى السـيـاسـة والحكم. فـقـد أخـذت الديمقـراطيـة فى عـصـره بمبدأ اخـتـيـار الحكام والقضاة بالانتخاب وبالقرعة إمعاناً منها فى المساواة بين جـمـيع أفـراد الشـعب سـواء كـانوا أغنيـاء أم فقـراء وأخـذت أيضـاً بمبـدأ التـصـويت فى الأمـور العـامـة فاحترمت رأي الأغلبية العددية فى كل رأى.

أما أفلاطون فقد رأى على العكس من ذلك ... الأكثرية وتدخلها فى أمور السياسة والحكم مـ... الفوضى ذلك لأن العدالة عنده تقضى بأن يتخـ... للحكم طبقة أرستقراطية لها بالطبيعة مواهب الحكـ... والشجاعة التى لا تتوفر عند باقى طبقات الشعب وهى طبقة الحراس.

وقد أهتم أفلاطون بتحديد النظم والشروط الكفيلة بتكوين هذه الطبقة وضمان استمرارها فى الحكم فقدم رأيين عدهما بمثابة موجتين عاتيتين تثيران عاصفة من

الدهشة عند سامعيه هما مبدأ شيوعية النساء والأطفال في طبقة الحكام ومبدأ تولية الفلاسفة الحكم.

(د) الشيوعية في طبقة الحكام:

يقول أفلاطون إنه يتبع الطبيعة عندما ينادى بالشيوعية وبمساواة النساء والرجال في طبقة الحكام. ألا ترى الأنثى من كلاب الصيد والرعي تشارك الذكر كل شيء؟ كذلك ستكون نساء دولتنا يربين تربية الرجال ويتلقين تعليم الرجال ثم يولين نفس المهام في السلم وفي الحرب كالرجال على السواء. ذلك أن لهن ما للرجال سبباً يمنعهن عن مزاولة ما هن جديرات به من أعمال.

ولما كانت المرأة ستشارك الرجل في جميع الأعمال الخاصة بطبقة الحكام فقد ترتب على ذلك إلغاء نظام الزواج والأسرة في طبقة الحراس.. فلن يختص أحد من هذه الطبقة بزوجة أو بولد وإنما ستكون جميع النساء والأولاد مشاعاً بينهم. ويربى الأطفال في دور حضانة ترضعهم الأمهات وتتركهم لمربيات مختصات حتى يتفرغن لأعمالهن. ويحدد للنساء والرجال في هذه الطبقة سناً لا ينبغي لأحد منهم أن ينجب قبل بلوغه ولا

بعد تجاوزه حتى لا ينشأ الأطفال ضعفاء إذ يبغى أفلاطون بهذه الفكرة المحافظة على السلالة النقية التى يوليها الحكم أى ما يعرف بالإوجينزم L,eugénisme ويحرم زواج الإخوة وينظم الزيجات فى الخفاء حتى يتحكم فى إنجاب نسل ممتاز.

ولقد قصد أفلاطون بشيوعية النساء والأولاد إزالة أسباب الخلاف بين أفراد طبقة الحراس ومن أجل ذلك ذهب إلى تحريم الملكية على أفراد هذه الطبقة وطالب بأن يعيشوا عيشة مشتركة تكفلها لهم الدولة.

ولا يخفى ما تنطوى عليه أفكار أفلاطون هنا من تأثر كبير كان يجرى فى عصره فى أسبرطة وكريت حيث كانت تحكم في هذه البلاد طبقة الأرستقراطية الدورية التى حافظت على نظمها الحربية لتضمن بقاءها فى أرض غزتها وبقى أهلها الأصليون مغلوبين على أمرهم زراعاً يقومون على خدمتهم وكان الحكام في هذه البلاد يربون تربية مشتركة ويعيشون فى معسكرات من سن العشرين إلى الثلاثين.

وعلى الرغم من كراهية العالم اليونانى لنظم اسبرطة إلا أن الدوائر السقراطية كثيراً ما كانت تظهر

إعجابها بها. ولقد سخر الشاعر الكوميدى زريستوفان من هذا الجنون باسبرطة خاصة فى مسرحية الطير كما سخر من آراء أفلاطون فى شيوعية النساء فى مسرحية جمعية النساء [1].

(هـ) حكم الفلاسفة:

أما الموجة العاتية الثانية التى يلقى بها أفلاطون بعد قوله بشيوعية النساء فهى قوله:

«ما لم يتول الفلاسفة الحكم فى الدول أو أن يتحول من نسميهم ملوكاً وحكاماً إلى فلاسفة حقيقيين، وما لم نر القوة السياسية تتحد بالفلسفة وما لم تسن قوانين دقيقة تبعد من لم يجمعوا هاتين القوتين فلن تنتهى الشرور من الدول بل من الجنس البشرى» (٢).

لكن ما الذى يعنيه بالفلسفة؟

إنها عنده محبة الحكمة أو محبة المعرفة والسعى إلى الحقيقة. فأين الحقيقة؟

---

(١) platon. La République. Trad. E. Chambry introduction A. Dies. Paris 1947,P. XLIX

(٢) الجمهورية ٤٧٣ جـ.

ليست الحقيقة عند أفلاطون فى الظواهر المحسوسة التى تتوالى فى بصرنا وسمعنا لأن هذه الظواهر ليست دائماً كذلك ولا هى مطلقة فيما لها من صفات. فلو فرضنا أنها جميلة أو خيرة فإنها ليست جميلة ولا خير إلا من جهة معينة ولوقت معين أما المطلق الدائم الحقيقى فهو مثالها العقلى الجمال فى ذاته والخير فى ذاته وهذه المثل هى وحدها موضوع علم الفيلسوف. لذلك يفرق أفلاطون بين الظن وهو المعرفة التى تقف عند حدود الظواهر الحسية وبين العلم وهو المعرفة اليقينية التى تدرك الحقائق العقلية أو المثل.

ولأفلاطون تشبيه مشهور يلخص فيه معرفة المثل وهو المعروف بتشبيه الكهف (١)، يصور فيه عامة الناس مسجونين فى كهف مظلم منذ الصغر ولقد قيدوا في هذا الكهف منذ ولادتهم وأداروا وجوههم إلى شاشة على جدار الكهف تنعكس عليها ظلال ما هو فى خارج الكهف من ضوء ينير عالماً من الناس الذين يسيرون حاملين عرائس خشبية على أكتافهم.

ولما كان هؤلاء المسجونون لا يستطيعون أن يلتفتوا

---

(٢) الجمهورية ٥١٤.

وراءهم فإنهم يظنون الظلال التى يرونها على جدار الكهف حقائق ويتوهمون ما يسمعونه فى خارج الكهف من أصوات أنها صادرة من هذه الأشباح فإذا تمكن أحدهم من أن يخرج من الكهف ليرى الحقائق فى الخارج وعاد هذا الرجل ليخبرهم أنهم واهمون فيما يظنونه حقيقة يسخرون منه وينكلون به.

وكذلك حال الفيلسوف بين قومه لأنه يكشف للناس وهمهم بعد أن يرتفع من إدراك المحسوس إلى المعقول معتمداً فى ذلك على منهج الجدل الذى يبدأ بالمران على التصورات الرياضية ثم يرتفع منها إلى إدراك المثل العقلية إلى أن يصل قمة عالم المثل الذى هو مثال الخير.

وكذلك نجد الأبواب الثلاثة ـ من الخامس إلى السابع ـ استطراداً يشرح فيه أفلاطون فلسفته الميتافيزيقية فى الوجود ذلك لأنه يعد دراسة الفلسفة أهم شرط من شروط تكوين الحكام فى الدولة العادلة وهى وحدها الدراسة الكفيلة بالارتفاع بهم من القيم والمبادئ الواقعية التى يأخذ بها أكثر رجال السياسة فى عصره ومن يماثلهم من الخطباء والسفسطائيين

أمثال جورجياس وبروتاجوراس وإيزوقراط إلى القيم والمبادئ المثالية التى ينبغى أن تقوم عليها المدينة الفاضلة.

(و) العدالة فى الفرد:

وبعد أن يكون أفلاطون قد انتهى من تعريف العدالة فى المجتمع وشروط تحققها يقول إن العدالة فى الفرد لا تختلف عنها فى المدينة لأنها ليست إلا صورة مصغرة لها.

إن العدالة فى النفس الفردية ليست سوى ائتلاف قوى النفس المختلفة لتقوم كل منها بالوظيفة الخاصة بها تتوفر لها الفضيلة المناسبة لها فالقوة الشهوانية فضيلتها العفة تلزمها حدودها وتمنعها تجاوز حدود الاعتدال والقوة الغضبية فضيلتها الشجاعة تبين لها ما ينبغى لها المبادرة بفعله وما ينبغى لها تجنبه وللقوة العاقلة فضيلة خاصة بها هى الحكمة التى تبين لها الخير الأقصى الذى ينبغى أن تتجه له النفس.

فإذا انتظم عمل هذه القوى وتمت لها هذه الفضائل الثلاث تحققت العدالة لأنها تعنى فى النفس ما تعنيه فى الدولة من انصراف كل قوة من قواها إلى عملها الخاص وانتظام كل هذه القوى بحيث تخضع

القوة الشهوانية للقوة الغضبية وهذه بدورها للقوة العاقلة التى توجه عمل الجميع إلى الخير بمقتضى ما لها من حكمة.

ثانياً: مصادر الفساد في الدولة والفرد

بعد أن انتهى أفلاطون من وصف دولته المثالية العادلة ومواطنها الحكيم العادل بقى عليه أن يبحث فى الدول الفاسدة وصفات مواطنيها وحكامها، وغايته فى النهاية أن يبين الفرق الشاسع بين سعادة المدينة الفاضلة وشقاء المدينة الظالمة.

ولقد كان بحثه هذا من جهة أخرى بحثاً فى أسباب وعلل تدهور التاريخ فى سيره من النظم المثالية إلى النظم الأكثر نقصاً حتى الدول الفاسدة تماماً.

ولكن ما هى الدساتير والنظم الناقصة فى رأى أفلاطون؟

إنها دساتير كريت واسبرطة التيموقراطية (١) ثم الأوليجارشية ومقابلها الديمقراطية وأسوؤها جميعاً الطغيان آخر درجات التدهور والفساد. وهكذا يكون

(١) التيموقراطية هى حكومة الأرستقراطية الحربية والأوليجارشية هى حكومة الأقلية الغنية. انظر ص ١٤٧ من كتابنا الفلسفة عند اليونان

لدينا خمسة دساتير واحد فقط منها هو الدستور الصالح دستور المدينة المثالية الأرستقراطية وأربعة دساتير فاسدة ويقابل هذه الدساتير خمسة أنماط لأخلاق الإنسان لأن طباع الناس هى التى تكون الدساتير المختلفة وإن كنا نسير فى البحث هنا من الدساتير إلى أخلاق المواطنين فى هذه المدن. أى نسير من التيموقراطية إلى الإنسان الأوليجارشى ومن الديموقراطية إلى الإنسان الديموقراطى، من الطغيان إلى الطاغية.

ولم يكن أفلاطون هو الوحيد الذى بدأ في هذه الدراسة المقارنة للدساتير إذ كان الناس فى اليونان يتباهون بالديمقراطية الأثينية وخاصة الخطباء والسياسيون والسفسطائيون. ولقد ملأ انتصار اليونان على الفرس نفوسهم عزة وفخاراً، ألم يقهروا تلك الجماعات التى يحكمها سوط الطاغية؟ ولكن من جهة أخرى كان الصراع بين أثينا واسبرطة على السيطرة على باقى بلاد اليونان يمثل من جهة أخرى صراعاً بين نظامين داخليين بين الديمقراطية الأثينية والأرستقراطية الحربية فى اسبرطة، ولقد جند هذا الصراع الأقلام كما جند الجيوش وأريقت فيه الدماء والأموال على السواء

وحدثنا هيرودوت عن النظم الثلاثة المعروفة فى اليونان وهى الملكية والأرستقراطية والديمقراطية (١).

وعلى العموم يمكن أن نقسم حديث أفلاطون فى هذا الموضوع إلى ثلاثة أجزاء هى:

(أ) وصف التيموقراطية وتحولها إلى الديمقراطية من (٥٤٥ ـ ٥٦٢).

(ب) وصف الطغيان (٥٦٢ ـ ٥٧٦).

(ج) سعادة الفيلسوف ومقارنتها بشقاء الطاغية (٥٧٦ ـ ٥٩٢).

(أ) من التيموقراطية إلى الديمقراطية:

إن الدستور المثالى عندما يتحقق فى الواقع يتعرض لظروف التغير والنقص فتتحول المدينة الفاضلة من دولة أرستقراطية تحكمها عقول الحكماء إلى دولة تيموقراطية تحكمها العاطفة والحماسة والقوة الغضبية.

وترجع أهم أسباب تغير الحكم وفساده إلى الفساد الذى يصيب حكام المدينة. إذ يحدث نتيجة عدم مراعاة قوانين الدولة والزيجات الخاطئة أن يعقب

---

(١) Herodote. III. 80 -- 82.

الحكام نسلا لا يماثل طبيعة آبائه فى الاصالة والامتياز، وعندئذ يختلط المعدن الذهبى والفضى بالحديد والنحاس فيقع الحكم فى يد طبقة يتغلب على طبيعتها الحقد والكراهية وتسودها الحماسة للحرب والنضال فتكون دولة الأرستقراطية أو التيموقراطية.

أما عن أخلاق مواطن هذه المدينة فهى أخلاق المحارب الذى لا يتحمس لشئ قدر حماسته للرياضة والصيد والحرب ولا يقدر من الأعمال سوى الأعمال التى تجلب المجد والشرف وتراه فى صباه لا يكترث للمال ولكنه بتقدمه فى العمر يأخذ فى تقدير الثروة ويتجه إلى لذات الحياة ذلك لأن القوة العاقلة فيه قد تخلت عن القيادة للقوة الغضبية والحماسية.

وإذ ساء حال التيموقراطية تحولت إلى أوليجارشية أى حكومة القلة التى تسعى إلى جمع المال بحيث لا يكون للفقير فيها أي نصيب ولا للفضيلة أى حساب. وينتهى الأمر بانقسام المدينة إلى مدينتين مدينة للأغنياء ومدينة للفقراء كل منهما تتآمر على الأخرى ويملؤها الشك منها.

ويحدث هذا حين يعقب الحاكم التيموقراطى ابناً لا

يقدر في حياته إلا المال ولا يكترث لما يكترث له الأب من مثل المجد والشرف والكرامة، وإنما تراه يكره كل هذه القيم ولا يجد لها فى قلبه مكاناً إلى جانب حب المال والثروة والشهوة للماديات لذلك يسجد العقل والشجاعة عنده علي قدمى الشهوة. ولكن إذا ساء الحال ودب الفساد فى الطبقة الحاكمة تحول الحكم من يد الأوليجاشية إلى يد الديمقراطية.

إذ يأتى اليوم الذى تضعف فيه الطبقة الحاكمة لإهمالها تربية أبنائها وتضحيتها بكل القيم فى سبيل شهوة المال فيجد الفقراء أنفسهم من حيث الفضيلة والقوة والعدد أقوى من حكامهم الأغنياء فينتصرون عليهم ويساوون بين الجميع حتى يولوا الحكم والمناصب بالقرعة.

وفى هذه الدولة لا يقدس الإنسان شيئاً إلا الحرية ولكن ما يظنه فى هذه الدولة لا يؤدى إلا إلى الفوضى إذ سيتبع كل فرد فيها أهواءه فتتعدد المبادئ والقوانين ويبدو هذا النظام جميلا فى نظر البعض لأنه سيصير أشبه بثوب مزركش بكل الألوان الزاهية ولكنه فى الحقيقة بين المتساويين وغير المتساوين.

أمـا مـواطنهـا الديموقـراطى فـهـو ذلك الذى ترك العنـان لكل شـهواته ولقب المخازى فضـائل حتى دعى السفاهـة حسن التربية والفوضى حرية والتهتك رقياً والوقاحة شجاعة (١).

ذلك هو الديمقراطى الذى ينحسر عن فكرة مبادئ الحق والاتزان والذى يسـاوى بين جـمـيع الشـهـوات ويتقلب بحسب الأهواء يوماً تشجيه الموسيقى وألحان الناى ويومـاً يعكف على الرياضـة ومـا يعـالج به بدنه ويكتسب به القوة، وتراه كسولا حيناً وغارقاً فى العمل عاكفاً على الفلسفة حيناً آخر لا يعرف لنفسه نظاماً ولا لسلوكه ضابطاً وهذا هو محب المساواة. ثم لننتقل بعد ذلك إلى وصفه لنظام الطغيان الذى يعده ثمرة ونتيجة لنظام الديمقراطية.

(ب) الطغيان:

ظهـر نظام حكم الطغـاة منذ القـرن السـابع قـبل الميلاد فى مدن آسيا الصـغـرى خاصـة المدن التجارية والصناعـيـة، ثم انتـقل هذا النظام بعـد ذلك إلى بلاد اليونان نفسها فظهر فى سيكيون وكورنثا وأثينا، وانتقل

(١) الجمهورية ٥٦١.

بعد ذلك إلى جنوب إيطاليا وصقلية التى تولى الحكم فيها الطاغية ديونيسوس معاصر أفلاطون.

وكان الطغاة فى أكثر الأحيان يعارضون حكم الأغنياء وأصحاب الأراضى الزراعية ويحمون التجارة والصناعة ويناصرون طبقات الشعب الفقيرة وينشرون عبادة آلهتها وكان أكثرهم يرى الفنون والآداب ويناصر أكثرهم مبادئ المساواة والحرية ومن أشهر هؤلاء فى أثينا بزيستراتوس وكلستنيس وبريكليس.

ولكن وجد من يعارض حكمهم ويصفه بأنه حكم الشهوة والأنانية الفردية وكان أفلاطون على رأس معارضى هذا النوع من الحكم وكانت تجربته الشخصية مع ديونيسوس طاغية سيراقوصة بصقلية من أهم الأحداث التى أثرت فى آرائه السياسية.

ولم يكن ديوينسيوس فى الواقع طاغية فاسداً، ولكنه قاد الحروب الكثيرة ضد أعداء بلاده وخاصة القرطاجنيين وطرد الأغنياء ووزع الأراضى على الشعب.

لكن أفلاطون رغم ذلك يعد حكم الطغاة أسوأ أمثلة الحكم ويرى أنه فى ظل حكم الطغاة تصل

الفوضى باسم الحرية إلى أسوأ درجاتها بحيث تنقلب الأوضاع فيتحول الحاكم إلى محكوم والمحكوم إلى حاكم حتى نظام الأسرة يختل فلا يجرؤ الأب على توجيه ابنه بل يخشاه إذ يعد الابن نفسه مساويا لأبيه ويعد الغريب نفسه نداً للمواطن بل أسوأ من ذلك فى رأى أفلاطون أن يعد الرقيق نفسه مساوياً فى الحرية لسيده وعندئذ تثور حتى الدواب على أوضاعها.

وتؤدى زيادة الحرية إلى نقيضها إلى العبودية وذلك حين يختار الشعب مدافعاً عنه لكنه سرعان ما ينقلب إلى طاغية يتخلص ممن نصبوه حاكماً ويحيط نفسه بحراس من المرتزقة ويسوق شعبه إلى الحروب ولا يجد من يمدحه إلا العبيد وإلا شعراء التراجيديا الذين يحبذون حكم الديمقراطية والطغيان لذلك لا يتردد أفلاطون فى طردهم من مدينته الفاضلة (١).

(ج) شقاء الطاغية وسعادة الفيلسوف:

ولكن لننظر إلى حياة الطاغية لنرى هل سيسعد أم سيشقى بطغيانه، ولكى نتبين ذلك فلنبحث فى طبيعة النفس الإنسانية.

---

(١) الجمهورية ٥٦٨.

فالنفس الإنسانية شأنها شأن الدولة تنقسم إلى ثلاث قوى تناسبها ثلاث لذات. فقوة عاقلة لذتها الفكر والمعرفة وقوة غضبية تثور للكرامة وقوة شهوية تسعى إلى كافة اللذات المادية. والفيلسوف هو من سلم القيادة فى حياته لتوجيه القوة العاقلة فكان سعيه دائماً وراء الحق وأصبحت لذته الكبرى فى المعرفة وفى الفكر أما الطاغية فهو من انقاد لأسفل قوى النفس للقوة الشهوية التى لا تنفك تطلب اللذات المادية وهى لذات وهمية زائلة تستعبد صاحبها وتشقيه لأنها أشبه بوحش جهول فى باطنه يسوقه إلى إرضاء شهواته وارتكاب كافة المخازى والمساوئ.

فإذا قارنا بين حياة الفيلسوف وحياة الطاغية فانما نتبين سعادة الفيلسوف وشقاء الثانى. فاللذات التى يطلبها الحكيم من نوع اللذات العقلية التى تهب النفس ائتلافا ونظاماً يكسبها الفضيلة ويخضع قواها لتوجيه العقل وإدراك الخير فى النهاية.

أما لذات الطاغية فهى من قبيل اللذات الحسية التى ليست فى الحقيقة لذات حقيقية بل لذات وهمية سالبة من يجرى وراءها كان كمن يقفو أثر شبح لا

حقيقة له شأن الطرواديين حين انقادوا لحرب ضروس لاقتفائهم شبح هيلينا.

والخلاصة أن الحكمة والفضيلة هما سبيل الإنسان إلى السعادة ويحق لنا أن نجيب على رأى جلوكون الذى ذكره في الباب الثامن من هذه المحاورة بأن من الخير للإنسان أن يتظاهر بالعدالة وأن يرتكب الظلم ما دام يعود عليه بفائدة، لأن العدالة تنطوى فى ذاتها على قيمتها وهى وحدها الخير الوحيد الذى يليق بالفيلسوف وبالنفس الإنسانية ويبقى على أفلاطون بعد ما بينه من أفضلية العدالة للنفس الإنسانية أن يثبت ما ينتظر العادلين بعد الموت من ثواب جزاء فضيلتهم فى هذه الحياة. وبهذا الموضوع يختتم محاوراته بعد أن يكون قد وقف وقفة عند الفن ونقده فى بداية الباب العاشر من الجمهورية.

ثالثاً: رأى أفلاطون فى الفن والنفس

الباب العاشر من الجمهورية

قد يبدو لقارئ الجمهورية أن نقد أفلاطون للفن وحديثه عن مصير النفس موضوعان بعيدان عن الموضوع الرئيسى للمحاورة لكنهما فى الحقيقة مكملان

لبحثه فى العدالة، لأنه يهاجم الشعر والتصوير من أجل العدالة وبحثه فى مصير النفس الإنسانية إنما يهدف إلى تأكيد قيمة العدالة واثبات أنها الخير الوحيد الذى يناسب النفس الإنسانية.

(أ) نقد الفن:

لقد أرجأ أفلاطون حديثه عن الفن إلى الباب الأخير من جمهوريته وذلك بعد أن كان قد انتهى من وضع نظرياته الاجتماعية والسياسية ومن تفسيره لحقيقة النفس الإنسانية.

ولقد بنى نقده للفن على أساس هذه النظريات السالف ذكرها فى الجمهورية.

فهو يعارض شعر هوميروس وشعراء التراجيديا من وجهة نظر المصلح الاجتماعى ويعارضه أيضاً باسم الفيلسوف الأخلاقى الذى يهدف إلى إصلاح النفس واكتمال فضيلتها.

ولقد كان للشعر قديماً وعند اليونان بوجه خاص وظيفة اجتماعية وأخلاقية كبرى إذ لم يكن غايته بعث النشوة الجمالية عند جمهور المتذوقين أو بهجتهم فحسب وإنما كان يقدم للمجتمع القديم ما تقدمه الكتب

المقدسة من توجيه للحياة الإنسانية فى كافة أنحائها.

ولقد كان من الطبيعى أن يقدر أفلاطون هذه الوظيفة الهامة للفن فى عصره ولقد انتهى من ذلك إلى الثورة على الاتجاهات الشائعة فى عصره سواء فى مضمونها أو فى أشكالها.

أما من حيث المضمون فقد أحنقه فى الشعر نزعات عاطفية سادت شعر شعراء التراجيديا وخاصة معاصره يوريبياس وأحنقه من التصوير أنه أصبح واقعياً يعكس الأشياء كما هى مرئية ومنظورة بكل تفاصيلها ولا يتعمق إلى ما ينطوى عليه من معنى مثالى وأخلاقى.

لقد أصبح المصور على حد قوله أشبه بحامل مرآة يديرها فى كل الاتجاهات فيصنع بها كل ما يشاء مما فى السماوات وما فى الأرض بسرعة فائقة وبغير معرفة منه ولا فهم (١) ولهذا فقد اتهم الشعراء والمصورين بأنهم لا يقدمون خلقاً فنياً يعبر عن الحقيقة أو يهدى إلى الخير وإنما يقدمون خداعاً يضلل النفس عن الحق ويخل اتزانها خاصة شعراء التراجيديا الذين يثيرون

---

(١) الجمهورية ٥٩٦.

عاطفة الجماهير بما يعرضونه على خشبة المسرح من مآسى عنيفة وانفعالات عاصفة.

وإذا فسر هذا النقاد على ضوء تاريخ الفن والأدب اليونانيين يظهر لنا أن فن التصوير الذى يصفه أفلاطون بأنه خداع ومحاكاة للواقع إنما ينصب على اتجاه واحد من اتجاهات فن التصوير القديم هو اتجاه مصورى عصر أفلاطون الذى مال الى الواقعية وأخذ بقواعد فن المنظور والخداع البصرى والبراعة فى استخدام درجات اللون لنقل المنظر المرئى للمتذوق وكان من اشهر أتباع هذه المدرسة فى التصوير أبوللودورس وبراسيوس وزوكسيس وهو الذى ذكر بلينى أن الطيور كانت تهبط لتنقر الكرم الذى صوره فى لوحاته (١) .

أما شعراء التراجيديا فهم وحدهم المقصودون بنقد أفلاطون للشعر لأنهم أنصار حكم الديمقراطية والطغاة (٢) ولأنهم يثيرون عواطف الجماهير ويقوضون مثل البطولة المتزنة التى يريدها أفلاطون لحكام مدينته.

---

(١) Webster. T.B.L. Art and Litera - ture in Fourth century Athens, 1956.

(٢) الجمهورية ٥٦٨ ب.

من هنا نستطيع أن ندرك كيف قضى أفلاطون على الاتجاهات الفنية المعاصرة له إذ لم يجد فيها ما يرجوه من أهداف فى خدمة فلسفته وأهدافها العلمية والاجتماعية والسياسية. وإنما كان يستلهم فى نقده هذا أنماط الفن التقليدى القديم الذى قدمته الحضارات القديمة خاصة حضارة قدماء المصريين.

ولقد أفصح أفلاطون فى الجمهورية وفى غيرها من المحاورات الأخرى عن إعجابه بأنواع من الفن الذى رأى فيه تعبيرا عن الأهداف الدينية والمثالية والأخلاقية.

فقد كان فى التصوير والنحت أميل إلى الأعجاب بالطراز الهندسى المرتبط بقواعد رياضية ثابتة وفضل فى الموسيقى ما عبر عن ائتلاف النفس واتزانها، لذلك فقد رفض دخول الموسيقى الأيونية والليدية مدينته الفاضلة لرخاوتها وميوعتها ولم يستبق إلا الموسيقى الدورية والفريجية[1]. وهى الموسيقى الباعثة لحماسة الجند أو الهدوء والأتزان فى النفس.

أما رأيه فى الشعر فقد عرضه في موضعين من محاورة الجمهورية. إذ تحدث عنه فى الباب الثالث ولم

---

(١) الجمهورية ٣٩٨ ـ ٤٠٣.

يحكم عندئذ برفض الشعر كله من الجمهورية بل أعترض على الشعر التمثيلى الذى وصفه بأنه شعر المحاكاة(١) يتلون الشاعر فيه بشتى الآراء والانفعالات ويثير فى سامعيه أيضاً مثل ما ينفعل به ولا يبين لهم طريق الصواب والخير، أما الشعر الغنائى والملحمى والتعليمى فقد قرظه وأعجب به لأن الشاعر يستطيع بهذه الأساليب البسيطة التى لا تستعمل المحاكاة أو التمثيل أن يعبر عما بذاته من حقائق ومثل سامية خالدة هى وحدها الجديرة أن يهدف إليها الشعر. لذلك يختتم النقد الذى ساقه فى الباب العاشر من الجمهورية برفض التصوير والشعر الذى يلجأ إلى محاكاة الواقع ويؤكد ضرورة ارتباط الجميل بما هو خير ونافع ولا يطلب فى مدينته الفاضلة إلا أناشيد مدح الآلهة والأبطال(٢).

ويكفى لتوضيح معالم هذه النظرية فى الشعر والتصوير أن نراجع ما كتبه على ضوء التوضيح السابق فى محاورة الجمهورية.

---

(١) الجمهورية٣٩٢– ٤٠٣.

(٢) الجمهورية ٦٠٧.

(ب) نصوص من الجمهورية عن الشعر والمحاكاة:

الشعر:

يرى أفلاطون أن للشعر أسلوبين [1]، أسلوب بسيط وأسلوب محاكاة:

« سقراط : يكفى ما قيل عن المضمون ولنبحث فى الأسلوب كى نكون قد تناولنا بطريقة سليمة المضمون والشكل على السواء، أى ما يقوله الشعراء وكيف يقولونه.

ـ لست أفهم ما تعنيه.

سقراط : لابد من الفهم. وقد تفهم أكثر بالطريقة الآتية. أليسِ كل ما يقوله قصاصو الأساطير والشعراء روايات ماضية أو حاضرة أو مستقبلة؟

ـ لا يمكن أن يكون غير ذلك.

سقراط : ألا يكون أسلوب الرواية إما بسيطاً أو محاكياً (تمثيلياً) أو كليهما؟

ـ أرجوك أن تفسر ذلك أكثر.

---

(١) الجمهورية ٣٩٢ ـ ٣٩٨.

سقراط: يبدو أنى معلم غامض لا أعرف كيف أوضح قصدى وسوف أعمد إلى ما يعمد اليه من لا يعرفون كيف يوضحون مقاصدهم فبدلا من أتناول الموضوع بوجه عام أن أتناول جزءاً منه وأحاول توضيح ما أريد قوله ولتجيبنى بما تعلمه عن ظهر قلب من بداية الإلياذة إذ يروى الشاعر أن الكاهن خريسيس رجا أجاممنون أن يرد له ابنته فلما ثار الأخير على هذا الطلب دعا الكاهن الآلهة واستعداها على الإغريق.

- نعم أعرف.

سقراط : أو تعلم أيضا هذه الأبيات التى يقول فيها الشاعر ودعا الكاهن على جميع الإغريق وخاصة على ابنى «اتريد» حاكمى الشعب. والشاعر إذ يروى ذلك إنما يتحدث بأسلوبه الخاص ولا يوهمنا بأن احداً غيره يتكلم، أما فيما يرد بعد ذلك فعلى العكس يحاول هوميروس أن يخفى عنا أنه هو المتحدث وإنما يتحدث كما لو كان هو شخصية خريسيس كاهن أبوللون وعلى هذا النحو يروى الأحداث التى جرت فى إليون وايثاكا والأوديسا.

ـ هذا صحيح.

سقراط : وعندما ينطق الشاعر بكلام على لسان أحد شخصياته الا نقول أنه يحاكى بقدر الإمكان لغته ؟

ـ أجل هو كذلك.

سقراط : أليست محاكاة شخصية الغير سواء باللغة أو الحركة هى التمثيل؟

ـ نعم بلا شك.

سقراط : وكذلك يبدو أن هوميروس وباقى الشعراء قد استعانوا بالمحاكاة فى رواية قصصهم.

ـ نعم بكل تأكيد.

سقراط: لكن على العكس إذا لم يختف الشاعر وراء شخصيات روايته فلن يوجد فى شعره محاكاة (١).

ولكى لا تقول إنك لا تفهم فسوف أشرح لك أكثر فأقول إن هوميروس حين يروى ما قاله خريسيس للملوك بأسلوبه لا بأسلوب خريسيس فلن يوجد هنا

---

(١) ليس هذا راى ارسطو إذ انه يرى ان كل انواع الشعر محاكاة

مـحاكـاة بل رواية بسـيطة فـيـصـبح شكل الحـديث على النحـو التـالى وبالنثر لأنى لست بشـاعـر: «وبعـد أن جـاء الكاهن ودعا الآلهة بأن تنعم عليهم باحتلال طروادة وأن تحـفظهم وطلب من الإغريق أن يردوا له ابنتـه نظير فـدية وبعد أن انتـهى من الكلام أظهر له الإغـريق موافقتهم إلا أجـا ممنون الذى غـضب وأمـره بالانـصـراف وإلا فـإن صـولجـانه وطلاسـمـه لن تجـديه شيـئـا. وأضـاف أن ابنة الكاهن لن تسلم لـه إلا بعـد أن تكون قـد هـرمت فـى أرجوس، فـخاف الكاهن العـجوز وانصرف ولكنه وجه دعـاءه لأبوللون ورجـاء باسم المعـابد والقـرابين التى كرسـها له بأن يوجه طعناته للإغريق وأن ينتقم لدموعه» كذلك يكون الأسلوب البسيط، أسلوب الرواية.

- فهمت الآن.

سقـراط : وافهم أيضاً أن هناك رواية أخرى تقابل هذه وهى تستخدم فى الحوار

إنها الشكل الخاص بالتراجيديا.

سـقـراط : حـقـاً هو ذلك تمامـاً، وإنى لأعتـقـد أنك قـد أصبحت ترى ما لم أستطع أن أوضحه لك الآن، وهو أن الشـعـر والأساطير منهـا أنواع تنطوى عى المحـاكاة، أى

الكوميديا والتراجيديا كما قلت على التو، ومنها أنواع تتلخص في الرواية وهي المستعملة في الديثورامب، وهناك نوع يجمع الأسلوبين وهو الذي يستخدم في الملحمة.

- لقد فهمت ما تعنيه.

سقراط : لتذكر أننا قد أوضحنا ما يجب أن يقال بقي علينا أن نوضح كيف يقال.

- نعم ذكرت ذلك.

سقراط : كنت أقول ينبغي أن نقرر هل سنسمح للشعراء أن يستعملوا المحاكاة أم نمنعهم من المحاكاة.

- أظنك تقصد هل سنسمح في مدينتنا بدخول التراجيديا أم نمنعها؟».

ويرى أفلاطون أنه لا يليق بحكام المدينة الفاضلة أن يمارسوا المحاكاة لأنها ستعودهم التقلب والتغير بحسب الظروف والأحوال وهذا ما لا ينبغي للحكام الذين يجدر بهم التمسك بالفضائل، ويختتم حديثه عن المحاكاة بعبارته المشهورة:

« ويبدو لي أنه إذا حضر مدينتنا رجل ماهر في

اتخاذ كل الأساليب ليعرض على الجمهور أشعاره فسوف نكرمه تكريم كائن مقدس، ولكننا نخبره أن لا مكان لمثله فى مدينتنا ونصرفه إلى مدينة أخرى بعد أن نعطره بالمسك ونتوجه بالغار. أما نحن فلا يناسبنا إلا شاعر وقصصى أكثر جدية وأقل سحراً يناسب خطتنا ولا يحاكى إلا أسلوب الأمناء من الناس ولا يتخذ إلا اللغة التى وصفناها منذ البداية عندما حددنا منهج تربية الحراس».

ويعود أفلاطون للحديث عن الشعر فى بداية الباب العاشر من الجمهورية فيقول (١):

« لن نقبل بأى حال من الأحوال ذلك النوع من الشعر الذى يتلخص فى المحاكاة وتتضح ضرورة رفض هذا الشعر خاصة بعد ما سبق أن ذكرناه عن قوى النفس المختلفة.

ـ وكيف يكون ذلك؟

سقراط : سأشرحه لك ما دمت لن تشكونى لشعراء التراجيديا وباقى المؤلفين الذين يمارسون المحاكاة إذ يبدو لى أن كل هذه الأعمال تفسد نفوس من يستمعون لها ما لم تكن نفوسهم محصنة بمعرفة

---

(١) الجمهورية ٥٩٥.

تمنع تأثيرها الفاسد.

ـ لكن لم تتحدث على هذا النحو؟

سقراط : يجدر أن أخبرك أن عاطفة معينة لدى منذ الصغر تدفعنى إلى احترام هوميروس وتمنعنى من مواصلة هذا العمل.. إذ يبدو لى أنه كان المعلم الأول والمرشد لكل هؤلاء التراجيديين. لكن تقديرنا للحق يفوق تقديرنا لأى إنسان ولذلك فسوف أمضى فى الحديث.

المحاكاة فى التصوير والشعر

يشرح أفلاطون ما يقصده بالمحاكاة بأمثلة من الأشياء المختلفة كالأسرة والمناضد مثلا. فيقول إن الأسرة يجمعها مثال واحد هو مثال السرير، هناك بعد ذلك السرير المثالى سرير خشبى صنعه النجار محاكياً فى ذلك السرير المثالى ثم أخيراً رسم السرير صوره المصور بعد أن حاكى السرير الخشبى الذى صنعه النجار، فثمة ثلاثة أنواع من الأسرة يقابلها ثلاث درجات من الحقيقة أعلاها المثال وأدناها الصورة المرسومة. وكذلك يكون المصور الذى يحاكى ما يظهر له من الشئ المصنوع أقل الناس علماً بحقيقة ما يصور ولا يختلف الأمر فى الشعر عنه فى التصوير

فهوميروس جد التراجيديين كلهم بعيد فى فنه عن الحقيقة بعد المصور الذى لا يصور إلا المظهر. يقول[1]:

«سقراط : اخبرنى باسم الإله زيوس ، أليست المحاكاة بعيدة عن الحقيقة بثلاث درجات؟

ـ نعم.

سقراط : وعلى أى جزء من نفس الإنسان يقع تأثير المحاكاة؟

ـ فيم تبغى الحديث؟

سقراط: أبغى أن أقول ما يلى. ألا يبدو الحجم الواحد متغيرا فى نظرنا بحسب قربه أو بعده؟

ـ نعم يبدو كذلك.

سقراط: ألا تظهر الاشياء مستقيمة أو منكسرة بحسب رؤيتنا لها خارج الماء أو بداخله؟ وتبدو محدبة تارة ومقعرة تارة أخرى بحسب خداع البصر الناتج عن استعمال الألوان. ثم ألا يحدث لنا هذا الاضطراب فى الإدراك اضطراباً فى النفس؟ إن التصوير بالظلال

(١) الجمهورية ٦٠٢ ـ ٦٠٨ ب.

إنما يعتمد على هذا النقص فى طبيعتنا شأنه شأن السحرة والمشعوذين عندما يضللونا بخدعهم وحيلهم.

- هذا صحيح.

سقراط : لكن ألم يكتشف الإنسان وسائل تقيه هذا الخداع مثل القياس والحساب والوزن وذلك لكى لا يغلب على تفكيره المظهر المتغير وإنما يعمد إلى القدرة القادرة على الحساب والقياس والوزن.

- هو كذلك بلا شك.

سقراط : وإذن فيمكن أن نعتبر كل هذه العملية من عمل القوة العاقلة فى نفوسنا.

- أجل من العقل.

سقراط : أما هذه القوة التى يتغير حكمها من وقت لوقت آخر فتتعارض مع المقياس وتظهر الأشياء تارة مساوية لبعضها وتارة أخرى متعارضة. ألا تختلف عن القدرة التى تحكم بحسب المقياس.

- نعم تتعارض.

سقراط : أليست القوة التى تلتزم بالمقياس والحساب هى أسمى أجزاء الجسم؟

ـ بلا شك

سقراط : وما يتعارض معها ليست إلا قوة من القوى الدنيا.

ـ نعم ضرورى.

سقراط : لقد أردتك أن تصل إلى هذه النتيجة عندما قلت لك إن التصوير وكل فن تمثيلى لا يحفل بالحقيقة وأنه من جهة أخرى يتصل بالجزء الذى يصدف فينا عن الحكمة ولا يتجه إلى أى شئ سليم أو حقيقى .

ـ هذا صحيح.

سقراط : ومن الواضح أن الشاعر ـ التمثيلى ـ المحاكى لا يسترشد بالمبدأ العاقل فى النفس ولا يرضيه بما له من مواهب فنية ما دام يرغب فى كسب رضاء الجمهور ولكنه يسعى إلى محاكاة الخلق المنفعل المتقلب.

ـ هذا أمر واضح.

سقراط : وعلى ذلك يحق لنا أن نهاجمه على التو وأن نضعه فى مصاف المصور إذ أنه يشابهه حين

يعكف على أعمال تنقصها قيمة الحق وهو يشابهه أيضا من حيث أنه يتعامل مع هذا الجزء الحقير من النفس الإنسانية ولا يتعامل مع الجزء السامى منها. وإذن فإننا نرى هنا سبباً يبرر لنا رفض دخوله مدينتنا التى ينبغى أن تسودها القوانين الصحيحة والمثل السليمة، إذ أنه يؤثر على هذا الجزء السئ من النفس ويقويه وبذلك يهدم القوة العاقلة شأن ما يحدث فى بعض المدن حين يتولى السلطان فيها أشرار يعدمون الحكماء. وبالمثل نقول عن الشاعر المحاكى - التمثيلى - أنه يخلق فى نفس كل فرد حكما سيئاً باثارته الجانب اللامعتقل الذى لا يميز بين الكبير والصغير والذى يحكم على الأشياء تارة بأنها كبيرة وتارة بأنها صغيرة ويخلق أشباحاً ويظل بعيداً عن الحقيقة بعداً شاسعاً.

- أجل هو كذلك بالتأكيد.

(ج) مصير النفس الإنسانية:

كان أفلاطون قد أكد طوال المحاورة أن الفضيلة فى حد ذاتها خير للإنسان وهو فى ختام المحاورة يرى أن العادل محبوب من الجميع الناس والآلهة على السواء وما يصيبه من شر ليس فى الحقيقة إلا امتحانا

ظاهرياً لأنه سيكون فى النهاية أسعد حالا من الظالم.

وتتضح قيمة العدالة وتزداد إذ كان فى الأخرة حساب وإذا كانت النفس ستظل خالدة بعد الموت لتتلقى جزاءها.

ويؤكد افلاطون هذا الحساب بما يرويه فى نهاية المحاورة من أسطورة تصف العالم الآخر معروفة بأسطورة «إرين أرمنيوس مواطن بامفيليا».

يذكر أن «إر» كان قد قتل فى معركة وظل عدة أيام فى عداد الأموات ثم عاد للحياة مرة أخرى وأخذ يقص ما شاهده فى العالم الآخر من يوم الحساب.

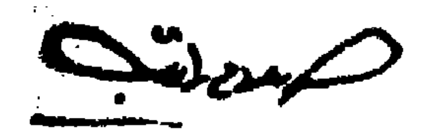
ولقد سرد أفلاطون فى سياق هذه الأسطورة وصفاً عجيباً اختلطت فيه الأسطورة بالفلك والرؤى الدينية بالنظريات الفلسفية وبأسلوب أدبى غايته إعداد النفوس فى هذا العالم للقاء يوم الدينونة ذلك اليوم الرهيب ولقد رأى «إر» بن أرمنيوس أن النفوس تأتى يوم القيامة لتلقى حسابها فتحكم الآلهة على الأشرار بعذاب فى الجحيم يدوم ألف عام، أما النفوس الخيرة فترى من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ويروى أن الطغاة الظالمين والقتلة والملحدين يتلقون اقسى أنواع

العـذاب ويخص بالذكـر أردياپوس الذى كـان طاغـيـة بامفيليا وبلغت قسوته حداً لا مثيل له.

وبعـد أن تلقى كل نفس جـزاءها تعـود لتـقـضى سبعة أيام فى سهل تحكم فيه ألهة الضرورة والقدر.

وتعلن الآلهة للنفوس أنها ستعود للحياة الدنيا مرة أخرى وعليهـا أن تختـار نوع الحيـاة التى ستـحيـاها. فـحياة الطغـاة التى تظل علـي قسـوتهـا إلى يوم وفـاتـها وحياة طغاة تنتهى بالنفى أو بالفقر مثلا وحياة أبطال يعيشـون لطلب المجد والشرف أو حياة نساء مـختلفة أو حياة حيوانات وهكذا تـختـار كل نفس نوع الحياة التى تحياها بعد رجوعها إلى الأرض مرة أخرى.

ويعد أفـلاطون لحظة اختيار النفس لمصيرها لحظة حـاسمة فى حياتها إذ يتـحدد هذا الاختـيار بمقدار ما حصلته النفس فيما سبق مـن علم ومعرفة، فتـجد النفس تخـتـار بحكم خـبـرتهـا السـابقـة فـقـد اخـتـارت نفس أورفيوس مثلا حياة بجعة حتي لا يولد مـرة أخـرى من امـرأة كـراهيـة منه للنسـاء، واخـتـار إيبوس نفس امـرأة عـادية بل غيرت بعض نفوس الحيوان حياتها واخـتـارت حياة إنسانية.



وبعد أن تم للنفوس اختيار حياتها المقبلة على الأرض بعثت الإلهة «لاخيسيس» لكل منها روحاً حارساً يوجهها فى الحياة التى اختارتها.

وبعد ذلك روى «إر» بن أرمينوس أن النفوس ذهبت بعد ذلك إلى سهل ليثى الذى ساده جو حار خانق وهناك شربت كل النفوس من نهر اميليس فأصابها النسيان التام واستغرقت فى نوم عميق إلى أن زلزلت الأرض زلزالها وقذف بالنفوس فى كل اتجاه إلى العالم العلوى الذى تسقط منه بعد ذلك فى ولادة أخرى على هذه الأرض. أما «إر» بن بامفيليوس فقد منع من شرب مياه النسيان ووجد نفسه قد عاد مرة أخرى لجسمه وحياته أما كيف عاد فهذا ما لم يعرفه.

كذلك ختم سقراط حديث العدالة فى جمهورية أفلاطون وقال لسامعيه تلك العبارة الخالدة:

«لئن صدقتمونى فعلمتم أن النفس خالدة وحرة فى اختيارها الخير والشر فستهدون إلى سواء السبيل وستلزمون دائماً بالعدالة والحكمة فى أفعالكم لكى تمتلئ نفوسكم طمأنينة وأمناً فيما بينكم ومع الآلهة أيضاً ليس فقط فى هذه الدنيا بل فيما بعد وفى يوم الحساب».

رقم الايداع بدار الكتب ٥١٥٠/١٩٩٤

I.S.B.N 977-01-3917-3

مكتبة الأسرة





بسعر رمزى عشرة قروش
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤

مطاب
الهيئة المصرية ا